

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: 9]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما ذكرت الآية السابقة الأمر بالإيمان بالله ورسوله والقرآن، وجاء الوعد والوعيد المضمّن في فاصلة الآية السابقة، ناسب الانتقال إلى استكمال أركان الإيمان بذكر الإيمان باليوم الآخر، وما اشتمل عليه من أمر الحساب والجزاء، وما يكون فيه من الجمع الذي تتولاه الملائكة، ودخول الجنّات، فالعلاقة بين الآيتين علاقة تكامل في تكملة أركان الإيمان، والانتقال من ذكر ما يكون في الدنيا، إلى ما يكون في دار المعاد.

التَّكَامُلُ
بَيْنَ الْآيَاتِ
لِاسْتِكْمَالِ ذِكْرِ
أَرْكَانِ الْإِيمَانِ

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿التَّغَابُنُ﴾: الغَبْنُ: أَنْ تَبْخَسَ صَاحِبَكَ فِي مُعَامَلَةٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِضَرْبٍ مِنَ الْإِخْفَاءِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي مَالٍ يُقَالُ: (غَبَنَ فُلَانٌ)، وَإِنْ كَانَ فِي رَأْيٍ يُقَالُ: (غَبَنَ) 1، وَغَبِنْتُ كَذَا غَبْنًا: إِذَا غَفَلْتَ عَنْهُ فَعَدَدْتَ ذَلِكَ غَبْنًا، وَيَوْمُ التَّغَابُنِ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ لظُهُورِ الْغَبْنِ فِي الْمُبَايَعَةِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبَغَاءً مَرْضَاتٍ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 207]، وبقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 111]، وبقوله: ﴿الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: 77]، فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ غُبِنُوا فِيمَا تَرَكُوا مِنَ الْمُبَايَعَةِ، وَفِيمَا تَعَاطَوْهُ مِنْ ذَلِكَ جَمِيعًا، وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ يَوْمِ التَّغَابُنِ؟ فَقَالَ: تَبْدُو الْأَشْيَاءُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَقَادِيرِهِمْ فِي الدُّنْيَا⁽¹⁾.

(1) الراغب، للفردات في غريب القرآن: (غبن).

✽ المغنى الإجمالي:

الفوز والهناء
جزاء المؤمن في
يوم الجمع

تبيّن الآية الكريمة قدرته تعالى على جمع الناس في موقفٍ واحدٍ، لينعم فيه أهل الجنة ويُعذب فيه أهل النار، ثم يكون التحفيز من ربّ العباد؛ فمن آمن وعمل صالحاً؛ فجزاؤه تكفير السيئات والنعم في الجنة مع الخلود الدائم الذي لا زحزحة فيه ولا زعزعة، وهذا هو الفوز العظيم الذي لا يُضارعه فوز.

✽ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

تعيين تعليق الظرف بالأنسب من المتعلقات:

تعلق الظرف
بمعنى الجزاء
هو الأوفق بالمقام

تعلق الظرف ﴿يَوْمَ﴾ إمّا بقوله تعالى: ﴿لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾، والمعنى: لتُنَبَّؤَنَّ بما عملتم يوم يجمعكم، وإمّا بلفظ ﴿خَيْرٌ﴾، والمعنى: والله خير بأعمالكم يوم يجمعكم⁽¹⁾، فيكون معنى ﴿خَيْرٌ﴾ محمولاً على معنى الجزاء لا على معنى العلم، فالعلم عامٌّ في الزمان كله، والجزاء مقصورٌ على يوم القيامة، ويحتمل في الصناعة اللفظية تعليقه بمقدّر؛ أي: اذكر يوم⁽²⁾؛ وذكر اليوم فيه تخويف لأهل المعاصي، وزيادة اطمئنان لأهل الإيمان، والأولى في ذلك أن يكون التعلق بفعل: ﴿لَتُنَبَّؤَنَّ﴾؛ لأنه كناية عن الجزاء، والمذكور في يوم الجمع هو الجزاء.

دلالة التعبير بالفعل المضارع:

دلّ التعبير بالفعل المضارع ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ على استحضار صورة الجمع، وفيه دلالة على الكثرة لوجود الضمير في الفعل ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾.

توجيه القراءات القرآنية:

قرأ الجمهور: ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ بالياء، وقرأ يعقوب: ﴿نَجْمَعُكُمْ﴾

تنويع أساليب
البيان في اختلاف
القراءات

(1) مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 12/ 7505، وابن عطية، للحرر الوجيز: 5/ 319، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 274.
(2) البياضاي، تفسير البياضاي: 5/ 218.

بالتَّوْن⁽¹⁾، وتوجيه ذلك أنَّ قراءة الجمهور جاءت على الغيبة، فلا التفات فيها؛ لأنَّ ما قبلها: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، وعلى انفراد يعقوب ففيها التفاتٌ من الغيبة إلى التَّكَلُّم.

نوع اللَّام ودلالاتها:

اللَّامُ في قوله تعالى: ﴿لَيَوْمٍ﴾ لَامُ الْأَجَلِ أو التَّعْلِيلِ، والمعنى: يوم يجمعُكم لأجل ما في يوم الجمع جمع الملائكة والثَّقَلَيْنِ⁽²⁾، يجمعُكم لأجل اليوم المعروف بالجمع المخصوص للحساب والجزاء، إشارة إلى عِظَم هذا اليوم، وتحتملُ أن تكون اللَّام للتَّخصيص؛ أي: أنَّ الجمع مختصُّ بهذا اليوم، وتحتملُ أن تكون بمعنى (في) على نحو ما قيل في قوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: 187]، وتحتمل أن تكون للتَّوقُّيت، وهي التي بمعنى (عند) كالتي في قولهم: (كتب لكذا مَضِين)، وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: 78]⁽³⁾، والأولى في المقام، والأقربُ للسياق والمقصد، أن تكون بمعنى التَّعْلِيل؛ لأنَّه الأصلُ والظاهرُ والأنسبُ بالمقام.

نكتة تسمية يوم القيامة بيوم الجمع:

سُمِّيَ يومُ القيامة بيوم الجمع في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾، وذلك لبيان أنَّه هو يوم الجمع بالحقيقة المطلقة، وكلُّ جمع سوى يوم القيامة فليس بجمع على الحقيقة، فهو يجمعُ جميع المُرسَلين والنَّبِيِّينَ، والأمم السابقة والآخرة، يجمعُ بين جزاء أهل الجنة وأهل النار، ويجمع النَّاسَ بعد أن انقطعوا عن الدُّنيا انقطاعاً كلياً.

ومُناسبة ذكر هذا الوصف ليوم القيامة هو أنَّ المُشركين أنكروا البعث، فنَبَّه عليه بوصف الجمع؛ لِيُعْلَم أنَّهم سيُبعثون ويُجمَعون في

الأقرب أن تكون
اللَّام بمعنى
التَّعْلِيل لدلالة
السياق والظاهر
عليها

الجمع هو
اجتماعُ أبناء
آدم قاطبةً
لِلحساب

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 388.

(2) الإيجي، تفسير الإيجي: 4/ 320.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 274.

صعيدٍ واحد، فردَّ على استبعادهم البعث، بتقرير لازم البعث، وهو الجمع؛ فلا يُتصوَّر وجودُ جمعٍ إلا بالبعث.

غرض استعمال اسم الإشارة البعيد:

جيءَ باسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ لقصد الاهتمام بهذا اليوم بتمييزه أكملَ تمييز مع ما يُفِيده اسمُ إشارة البعيد من علوِّ المرتبة⁽¹⁾، وتوجيه المُخاطَب للعناية بمضمون المُشار إليه.

دلالة إضافة ﴿يَوْمُ﴾ إلى لفظ ﴿التَّغَابِنُ﴾:

أُضيفَ ﴿يَوْمُ﴾ إلى لفظ ﴿التَّغَابِنُ﴾ لبيان مُلابسة اليوم بالتَّغَابِنِ، ويجوز أن تكون الإضافة للتَّعْظِيمِ، تعظيم هذا اليوم؛ لما فيه من التَّفْريق بين أهل الحقِّ وأهل الباطل.

فائدة الاعتراض ودلالته:

جملة: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابِنِ﴾ اعتراضٌ بين جملة: ﴿ثُمَّ لَتَنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ بمُتعلِّقها، وبين جملة ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾، وفائدة الاعتراض تهويلُ هذا اليوم تعريضاً بوعيد المُشركين بالخسارة في ذلك اليوم؛ أي: بسوء المُنْقَلَب⁽²⁾؛ أي: إذا لم تعلموا ما يومُ الجمع، فاعلموا أنَّه يومُ التَّغَابِنِ، فدلَّهم عليه بوصفٍ آخر سوى وصف الجمع؛ فاجتمع وصفان، الجمع الذي يلفُّ النَّاسَ في صعيدٍ واحد، والتَّغَابِنِ الذي يلفُّ النَّاسَ بشعور الخوف والهيبة من جزاء ذلك اليوم.

معنى تعريف لفظ: ﴿التَّغَابِنُ﴾:

التَّعْريف في لفظ ﴿التَّغَابِنِ﴾ هو تعريفُ الجنس⁽³⁾، وقد جاءت للدلالة على أنَّ التَّغَابِنَ الحقيقيَّ هو التَّغَابِنُ في أمور الآخرة لِعِظَمِهَا

تهويلُ الموقف
العظيم بوصفٍ
كاشفٍ عن
بعض صفاته

التَّغَابِنُ الكاملُ
على التَّحْقِيقِ
هو ما يكون يوم
القيامة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 274 / 28.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 275 / 28.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 277 / 28.

ودوامها⁽¹⁾، فاللّام للاستعظام⁽²⁾، فتغابنه هو التغابن في الحقيقة، لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت⁽³⁾.

بلادة الاستعارة والمجاز والتّمثيل في لفظ: ﴿التَّغَابُنُ﴾:

جاء لفظ: ﴿التَّغَابُنُ﴾ على صيغة التّفاعل، وفي ذلك دلالتان: الأولى دلالة المشاركة، والثّانية دلالة الكثرة، وفي الدّالّتين إمّاحة وإشارة، فالدلالة الأولى التي تحمل المشاركة بين طرفين، دلّت اللفظة على كلّ منهما؛ أي: المؤمن والكافرين يغبن كلاهما الآخر؛ أي: ينقصه حقّه، وقد حملها جمهور المفسّرين على حقيقتها من حصول الفعل من جانبين؛ ففسّروها بأنّ أهل الجنّة غبنوا أهل النّار؛ إذ أهل الجنّة أخذوا الجنّة وأهل جهنّم أخذوا جهنّم، وكأنّ الجنّة كانت حقّاً للكافرين لكن لما كفروا سلبوا حقّهم، وهذا معنى القول الأوّل، ففي التغابن تمثيل لحال الفريقين بحال متبايعين أخذ أحدهما الثّمن الوافي، وأخذ الآخر الثّمن المغبون، يؤيّد هذا السياق القرآني: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾، إلى قوله: ﴿وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: 10]، فهنا قرينة على المراد من الجانبين، فيكون قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: 10] تفصيلاً للفريقين، فيكون في الآية مجازاً وتشبيهاً وتمثيلاً، فالمجاز في مادّة الغبن، والتّمثيل في صيغة التغابن الدّالة على المشاركة، وهو تشبيه مركّب بمنزلة التشبيه البليغ؛ إذ التقدير: ذلك يومٌ مثلُ التغابن.

أمّا الدّلالة الثّانية فهي دلالة الكثرة وشدة الفعل، كما في قولنا: (عافاك الله، وتبارك الله) فتكون استعارة؛ أي: خسارة للكافرين؛

تعدد دلالات
صيغة التفاعل
من مشاركة
وكثرة مع
تهديد الكافرين
وإبعادهم

(1) البضاوي، تفسير البضاوي: 218 / 5.

(2) النسفي، تفسير النسفي: 492 / 3.

(3) الزمخشري، الكشاف: 549 / 4.

إذ هم مناطُ الإنذار، وهذا يُفسّره قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَرَتُهُمْ﴾ [البقرة: 16]، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْلَكُكُمْ عَلَى تِجَرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10]؛ فصيغةُ التّفاعُل مُستعملةٌ مجازًا في كثرة حصول الغبن تشبيهًا للكثرة بفعلٍ يحصل من مُتعدّد.

وفي الاستعارة والتّشبيه والتّمثيل تهديد للمُشركين بسوء حالتهم في يوم الجمع؛ إذ المعنى: ذلك يوم غبنكم الكثير الشّديد بقرينة قوله قبله: ﴿فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْثَوْرَ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾، والغابن لهم هو الله تعالى، ولولا قصدُ ذلك لما اقتصر على أنّ ذلك يومُ تغابن؛ فإنّ فيه ربّحًا عظيمًا للمؤمنين بالله ورسوله والقرآن⁽¹⁾.

بلاغة القصر بتعريف طرقي الإسناد:

أفاد تعريف جزأي جملة: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ قصر المسند على المسند إليه؛ أي: قصر جنس يوم التغابن على يوم الجمع المُشار إليه باسم الإشارة: ﴿ذَلِكَ﴾، وهو من قبيل قصر الصّفة على الموصوف قصرًا ادّعائيًا؛ أي: ذلك يومُ الغبن لا أيام أسواقكم ولا غيرها؛ فإنّ عدم أهميّة غبن النّاس في الدّنيا جعلُ غبن الدّنيا كالعدم، وجعلُ يوم القيامة مُنحصرًا فيه جنس الغبن⁽²⁾.

نوع الواو ودلالاتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّهِ﴾ استئنافيّة؛ لفتًا لأهميّة الإيمان في بدء حياة صالحة مُنجية من النّار، باعثة على الخلود في الجنّة.

غرض التّعبير بالجملة الشرطيّة:

(مَنْ) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّهِ﴾ شرطيّة، والفعل بعدها

الغبن الحقيقي
هو غبن الآخرة لا
غبن الدّنيا

الحثّ والحضّ
على الإيمان من
مُحفّزات العمل
بالأركان

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 276 / 28.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 274 / 28.

مُسْتَقْبَلٌ؛ أَي: مَنْ يُوْمَنُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَوْعِظَةِ نُكْفِرُ عَنْهُ مَا فَرَطَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ، وَفِي الشَّرْطِ فَتْحٌ لِبَابِ الْإِيمَانِ وَعَدَمُ الْإِقْنَانِ، فَالْإِحْسَانُ يُقَابِلُهُ إِحْسَانٌ⁽¹⁾، فَفِي الشَّرْطِ حُضٌّ وَحُثٌّ عَلَى الْمُسَارَعَةِ فِي الْإِيمَانِ، بِذِكْرِ عِزَّةِ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ هُوَ الَّذِي يَشْتَرِطُ عَلَى الْعِبَادِ.

دلالة التعبير بصيغة المضارع:

جاء التعبير بالمضارع «يُؤْمِنُ» حثًا على تحقيق الإيمان في المستقبل، وللتعبير بالمضارع دلالة ترغيبية حيث شجّع على التدرّج في طلب الإيمان، حتّى يستوي على سوقه.

نكتة تقييد فعل الإيمان:

آثر النظم الكريم تقييد فعل الإيمان بقيد «بِاللَّهِ»، ولم يقل: (ومن يؤمن ويعمل صالحًا)، وذلك بغرض إظهار اسم الجلالة: لتربية المهابة في النفوس، وتعزيز مفهوم الإيمان المقبول.

فائدة عطف العمل الصالح على الإيمان بالله:

افترن العمل الصالح بالإيمان في القرآن الكريم في نحو خمسة وسبعين موضعًا، وفي هذا إيدانٌ صريح بأنَّ عمل الصالحات قرين الإيمان، فليس العطف تكريرًا لمجرد التأكيد، بل للتنبيه إلى قيمة عمل الصالحات وموضعها من الإيمان، فهو من التخصيص بعد التعميم⁽²⁾، ومن عطف الخاص على العام، فالعمل الصالح ذكر مرتين: الأولى في مُسَمَّى الإيمان، والأخرى انفرد بالذكر وحده، وذلك إبرازًا لأهميّة العمل الصالح، كما أنّ الجمع بينهما فيه دلالة التقابل بين عمل الظاهر، وعمل الباطن كمحبّة الله وخشيته ورجائه⁽³⁾.

عمل الصالحات
من الإيمان،
وعطفه من
عطف الخاص
على العام

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 274 / 28.

(2) عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني: 86 / 2.

(3) السعدي، تفسير السعدي: 418 / 1.

نكتة حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه:

حُذِفَ الموصوف وأقيمت الصفةُ مقامه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾؛ فلم يقل: (وعمل عملاً صالحاً)، وذلك أَنَّ الفعلَ (يعمل) دالٌّ على تقدير مصدره⁽¹⁾، فالتعبير المُقدَّر (عملاً)؛ أي: عملاً صالحاً، ثمَّ إِنَّ إقامة الصفة ﴿صَالِحًا﴾ مقام الموصوف تُشعرُ بأنَّ الموصوف (العمل) حاضرٌ⁽²⁾ معناه؛ وحذفه لفظاً يُسلِّط الضوء على الصفة، فهي المقصود الآكد في هذا السياق.

نكتة تنكير لفظ: ﴿صَالِحًا﴾:

أفاد تنكير ﴿صَالِحًا﴾ شمولَ العمل وعمومه، وعدمَ تخصيصه بعمل بعينه إلا إذا كان خيراً، فأئى عمل صالح هو في دائرة القبول؛ إطماعاً لهم في العمل الصالح.

توجيه القراءات القرآنية:

قرأ المدنيان وابنُ عامر: ﴿نُكْفَرُ﴾، وقرأ الباقون⁽³⁾: ﴿يُكْفَرُ﴾، على معنى: يُكْفَرُ الله، والأوّل هو نونُ العظمة⁽⁴⁾ الدالُّ على القدرة المطلقة في تكفير السيئات، وفي الجمع دلالة المشاركة بين الله وملائكته، فالأمر هو الله تعالى، والمنفَّذ هم الملائكة الذين يحسون السيئات من الكتاب، وفي قراءة الأفراد تلاوُّم بين الأفعال: ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾، ﴿وَيُدْخِلُهُ﴾، فالأمر موكولٌ إليه وحده لا غيره، مع ما في قوله تعالى: ﴿نُكْفَرُ﴾ بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلُّم؛ لأنَّ مقام الوعد مقامُ إقبال؛ فناسبه ضميرُ التكلُّم، وقراءة الياء على مُقتضى الظاهر؛ لأنَّ ضمير الجلالة يُؤدِّنُ بعناية الله بهذا الفريق⁽⁵⁾.

(1) الشهاب، حاشية الشهاب: 202/7.

(2) البغدادى، خزانة الأدب: 377/8.

(3) ابن الجزري، النشر: 248/2.

(4) ابن عطية، للحرر الوجيز: 319/5.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 277/28.

اتصاف
للمؤمن بعمل
الصالحات
وحدها دون
غيرها

اجتماع
القراءتين في بيان
الأمر والفاعل
وتعظيم الجليل
والاهتمام
بالمخاطبين

دلالة حرف (عَنْ):

دلَّ حرف (عَنْ) على المُجاوِزة والتَّرك والعفو والغفران، فالأوزار الثَّقيلة صارت في طَيِّ النِّسيان جزاء الإيمان، فالجزاء من جنس العمل، وهذا من مظاهر الرَّحمة.

غرض تقديم شبه الجملة:

قُدِّم شبه الجملة ﴿عَنْهُ﴾ على المفعول ﴿سَيِّئَاتِهِ﴾ تعجيلًا للمسرَّة، واجتلابًا للفرحة، فهو أَسْرُّ لِلْمُتَلَقِّي، وفي التَّقديم تشويق لذكر المفعول؛ فالتَّقديم بشارَةٌ لمن آمَن وعمل صالحًا.

نكتة التَّعبير بصيغة الجمع والإضافة:

جاء التَّعبير بصيغة الجمع للفظ: (السَّيِّئَاتِ)، مع إضافتها إلى ضمير مَنْ يعزم على الإيمان وعمل الصَّالحات؛ لبيان أنَّ هذه السَّيِّئَاتِ مهما كانت كثيرة؛ فَإِنَّ رَحْمَتَهُ وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فالرَّحمة مكتوبة لمن عاد وأُتاب ولو كانت مثل زبد البحر، وفي الإضافة تخصيصُ بالعفو لمن أساء، ويُضافُ إلى نكتة الإضافة أنَّ السَّيِّئَاتِ مُلَابَسَةٌ لَهُمْ غَيْرُ مُنْفَكَّة عَنْهُمْ، فيكون تكفيرُها بعثًا لِلْحَثِّ على الإيمان والعمل الصَّالح، وهذا من زرع قيم الهداية في نفوس العباد، ودعوتهم إلى المُسارعة وطلب المغفرة والعفو.

نوع الواو ودلالاتها:

دلَّت واو العطف في قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ على تعدُّد المكْرَمات لمن تاب، ولم يستعمل النُّظم الكريم حرف (ثم)؛ لبيان أنَّ الإيمان يُكْفِّرُ السَّيِّئَاتِ وَيُدْخِلُ الْجَنَّاتِ فِي آنٍ، وهذا من عظيم الإكرام، لمن أقبل على الله تعالى، ولم يمنعه عناده من الإصرار على الكفران.

دلالة التَّعبير بصيغة المضارع:

في التَّعبير بالمضارع ﴿وَيُدْخِلُهُ﴾ تصويرٌ لمشهد إدخال الجنَّات،

الوعد بالتَّوبة
وتكفير السَّيِّئَاتِ
من قيم الرَّحمة
والهدايات

الإيمان يُكْفِّرُ
السَّيِّئَاتِ
وَيُدْخِلُ الْجَنَّاتِ
فِي آنٍ

وتصوّرُ هذا المشهد من دواعي الإقبال، فَمَنْ أراد تحقيقه فعليه أن يمتثل حقائق العمل.

نكتة جمع لفظ: ﴿جَنَّتٍ﴾:

آثر التعبير القرآني جمع الجنّات في قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ لأنّ الجنّات سبعُ؛ جنّة الفردوس، وجنة عدن، وجنة النعيم، ودارُ الخلد، وجنةُ المأوى، ودارُ السّلام، وعليّون، وفي كلّ واحد منها مراتبُ ودرجاتُ مُتفاوتةٌ بحسبِ تفاوتِ الأعمالِ وأصحابها⁽¹⁾، وفي الجمع تنشيطٌ وتعزيزٌ لئليها.

نكتة تنكير لفظ: ﴿جَنَّاتٍ﴾:

نكر لفظ ﴿جَنَّاتٍ﴾ للتنويع أو التعظيم⁽²⁾، وللتّغريب والتّشويق، ويُضافُ إلى ما سبق أنّ التعبير القرآني جاء بجمع القلّة ﴿جَنَّاتٍ﴾ لا (جنان)؛ إشارةً إلى قلّة الصّالحين مُقارنةً بأهل الكفر والعصيان؛ فكانت القلّة مُناسبةً للقلّة.

دلالة التعبير بالمضارع:

دلّ التعبير بالفعل المضارع ﴿تَجْرِي﴾ على الدّوام والاستمرار مع استحضار جمال الصّورة؛ إمتاعاً للنّاظرين وتمتيعاً للدّاخلين، وتصويراً للسّامعين، وأحسنُ الماء ما كان جارياً غير قارّاً؛ لأنّه يكون بذلك جديداً كلّما اغترف منه شاربٌ أو اغتسل مُغتسلٌ⁽³⁾.

نوع ﴿من﴾ ودلالتها:

دلّ حرف ﴿من﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ على ابتداء الغاية المكانية، فالماء ينبعُ من بدء الجنّات، وفي هذا عراقةٌ في إمتاع النّظر، وتضريح النّفس، وتكريم أهل الجنة،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل: 69/1.

(2) الألوّسي، روح المعاني: 204/1.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 354/1.

كثرة النّعم
وتنوّعها مدعاة
النّفس وباعثها

التّعدّد مع
التّنويع
والتّعظيم
والتّشويق

دوامُ الجري
إمتاع وإسعاد
لأهل الجنة

ابتداء جري
الأنهار من
مبادي الجنّات
عراقة مُدهشة
وصورة مُشرقة

والأنهار مبادئها أشرف، والجَنَّاتُ التي مبادئها الأنهارُ من تحت أشجارها أشرف من غيرها⁽¹⁾، ويظهر أنَّ ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ قيدٌ كاشفٌ قصد منه زيادةُ إحضار حالة جري الأنهار؛ إذ الأنهار لا تكون في بعض الأحوال تجري من فوق، فهذا الوصفُ جيء به لتصوير الحالة للسَّامع لقصد التَّرجيب⁽²⁾.

نكتة المجاز العقلي:

إِسْنَادُ فعل الجري للأنهار في قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ مجازٌ عقليٌّ، علاقته المكانية، وهو يُصوِّرُ الجري كأنَّه مُسيطر على المكان كله، وكأنَّ الجمال يُرَحَّبُ بأهل الإيمان مُسبقاً إليهم، وفيها كنايةٌ عن العلوِّ والرَّفعة، فالأنهار من تحتهم وتحتها، وهذا يشي بأنهم في مكان العلوِّ والرُّقي، والشَّريف مكاناً ومكانة.

معنى تعريف لفظ: ﴿الْأَنْهَارُ﴾:

التَّعريف في لفظ: ﴿الْأَنْهَارُ﴾ تعريفُ الجنس، فيكون كالنَّكرة، فيتساوى مع ﴿جَنَّاتٍ﴾ في تنكيرها، وقد يُراد من التَّعريف العهد، إلَّا أنَّه عهدٌ تقديريٌّ؛ لأنَّ الجَنَّات لما ذكرت استحضر لذهن السَّامع لوازِمها ومقارناتها فساغ للمُتكلِّم أن يُشير إلى ذلك المعهود فجيء باللام⁽³⁾.

نكتة ذكر لفظ: ﴿خَالِدِينَ﴾:

آثر النِّظم الكريم ذكرَ لفظ: ﴿خَالِدِينَ﴾، وهي منصوبةٌ على الحال، وفائدةُ ذكرها زيادةُ الاطمئنان والثِّمَكين في النفوس؛ لأنَّ النَّفس تأنس بالاستمرار والدَّوام، وتخافُ الفوت، فكان التَّعبير بالحال بصيغة اسم الفاعل زيادةً تأنيسٍ للمؤمنين بأنهم مُتمكِّنون دوماً من الجنة.

تشخيص الأنهار
إمتاعٌ للأنظار

أنهار الجنة
كالنَّكرة في
الماهية ومعهودة
في أذهان
السَّامعين

الاستمرار
والخلود أمانٌ
وتأنيسٌ

(1) الإسكافي، درة التنزيل: 1/ 473.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 354.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 355.

تمكّن المؤمنين
من الجنة
تكريماً وإبهاجاً

بلادة استعمال حرف الظرفية:

دلّ حرف الجرّ (في) على الظرفية المكانية، فهو تصوير للجنة بأنّها ظرفٌ احتوى مظلوفه، وهم المؤمنون، لتعزيز مفهوم الخلود، وأنّه خلودٌ ومكثٌ في الجنة، فلا يبعثون عنها تحويلاً، فالجنّات قد شملت كلّ من آمن، وفي الظرف تمكّن، وكأنّهم خلدوا في أفضل مكان في الجنة لا في أيّ مكان، وإن كانت كلّ الأماكن فاضلةً.

نكتة فصل جملة الفاصلة:

فُصِّلَ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لأنّه تقرير وتوكيد لما سبق، وهو تذييلٌ أفاد تقرير معاني التّبشير بنصر كبير؛ تطيناً لهم، وإدخالاً للفرحة، وبثاً للبهجة في النفوس.

غرض التّعبير باسم الإشارة البعيد:

جاء استعمال اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾؛ ليُضفي على المشار إليه ﴿جَنَّتٍ﴾ التّعظيم والتّبجيل، فهو فوزٌ لعلو مرتبته وارتفاعها، يُعدُّ أمراً لا نظيرَ له ولا شبهة⁽¹⁾.

نكتة وصف الفوز بالعظيم:

يشترك الفوز في كلّ موضع جاء في القرآن بأنّه الفوز بالجنة، سواء وُصف بأنّه عظيم أو كبير أو مُبين، لكنّ الجامع بين كلّ أنواع الفوز أنّه أُخرويٌّ، وتتغاير الأوصاف بحسب السّياق، فأعلى الأوصاف هو العظيم، يليه الكبير، يليه المُبين⁽²⁾، وقد وصف ﴿الْفَوْزُ﴾ بصفة ﴿الْعَظِيمُ﴾ هنا؛ لأنّ الفوز العظيم لا يُحيط به نطاق الوصف، ولا يوقّف على مطلب يُدانيه أصلاً⁽³⁾، فلا فوز وراءه، ولا فوز أعظم وأجلّ منه.

الفوز العظيم
هو الخلود في
جنّات النّعيم
وما دونه فعذابٌ أليم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 119/7.

(2) فاضل السامرائي، أسئلة بيانية: 201/2.

(3) الألويسي، روح المعاني: 69/4.

ويُضاف إلى ذلك أنَّ وصف الفوز بالعِظَم يعني أنَّه فوزٌ بالمطالب وخلصٌ من المكاره⁽¹⁾، فهو مُنطَوٍ على النِّجاة من أعظم المهلكات والظُّفر بأجلِّ الطُّلُبات⁽²⁾، ومن هنا اكتسب بصفة العِظمة، ويُشير إلى حقارة ما ظنَّه المُشركون عظيمًا في الدُّنيا، في مُقابل الفوز العظيم في الآخرة.

(1) الألوسي، روح المعاني: 13 / 135.

(2) الألوسي، روح المعاني: 14 / 319.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنَافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلْك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنَافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلْك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62: المجلد الثاني والستون، سورة المُنَافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلْك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 978-9948-640-02-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"